مجلة علوم التربية

دورية مغربية نصف سنوية

- اكتساب قيم المواطنة والتسامح.
- دينامية الجماعة وتطبيقاتها.
- حاجة الكفايات إلى التداول والاستعمال.
- اللغة العربية وتدريس العلوم.
- التربية البدنية والرياضة المدرسية.
- التواصل والحجاج (أية علاقة؟).
- علم النفس المعرفي ما بعد بياجه.
- المكتبة المدرسية.
- التسرب المدرسي.

العدد الرابع والثلاثون- يونيو 2007

حاجة الكفايات إلى التداول والاستعمال[1]

• عبد الرحيم وهيبي *

إذا انطلقنا من التعريف التالي: الكفاية وظيفة وليست سلوكا، فإن البعد التداولي أو الغائي يسم الكفاية وسما قويا ومؤثرا، إذ تصبح عبارة عن أنشطة وقدرات ومهام ذات مغزى ومعنى ووظيفة، وتغدو الوظيفة العملية التطبيقية هي الحاسمة في موضوع الكفاية، فلا توجد كفاية دون وظيفة أو هدف، بل إنها تنظيم يوظف النية والقصد، نية صاحبها الذي يمتلكها. نخلص إذن إلى نتيجة منطقية وهي: لا كفاية بدون تداول فكيف ذلك؟

إذا كانت التداوليات نظرية استعمالية تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، ونظرية تخاطبية تعالج شروط التبليغ والتواصل، وتحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات، وهي الكفاية النفسية، والكفاية التداولية، والكفاية النمطية، فإن قدرة المتعلم يجب أن تكون قدرة تواصلية وحوارية، بمعنى أنها معرفة وتشغيل القواعد التداولية والتركيبية والدلالية والصوتية التي تمكن من إنجاز مهمة في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق أهداف وغايات تواصلية محددة.

وإذا كان النحو الوظيفي يسعى إلى تحقيق ما يسمى الكفاية التداولية من خلال اقتراحه بنية للنحو تفرد مستوى تمثيليا مستقلا للوظائف التركيبية والدلالية مثل: المنفذ ـ المتقبل ـ الفاعل ـ المفعول ـ المستفيد... فإن هذه الوظائف يمكن نقل وتوظيف بعضها في الحقل البيداغوجي وخاصة في مجال التدريس بالكفايات، فإذا كانت العملية التعليمية التعلمية تستوجب عناصر أساسية وهي: المدرس والمتعلم والمعرفة، فإن الوظائف التداولية التي هي من قبيل المحور والبؤرة والمنفذ والفاعل يمكن إسنادها، في إطار بيداغوجيا الكفايات، إلى المتعلم باعتباره مركز وبؤرة ومحور الاهتمام والتفكير والعمل. وهي أيضا إحدى الغايات الكبرى للميثاق الوطني للتربية والتكوين والكتاب الأبيض. إن اعتبار المتعلم محورا وبؤرة ومنفذا وفاعلا من شأنه أن ينمي

* باحث في علوم التربية

ويقوي شخصيته كغاية في ذاته، وكفاعل إيجابي في تطور مجتمعه فيتحول إلى رأسمال مربح. إن إسناد هذه الوظائف إلى المتعلم من شأنها أن تربي فيه الاجتهاد والابتكار والمسئولية بدلا من شحن وشحذ ذهنه بمعارف غير مجدية. ويمكن إضافة غايات كبرى تحققها هذه الوظائف منها:

ـ اعتماد التعلم الذاتي وقدرة المتعلم على الحوار والتواصل والمشاركة.

ـ الاستثمار في الرأسمال البشري من خلال بيداغوجيا الكفايات.

ـ حشد واستنفار مجموعة من المواد المعرفية من قدرات ومهارات لدى المتعلم، من أجل مواجهة مجموعة من الوضعيات بشكل ملائم وناجح.

بيد أنه، ليست كل الوظائف التداولية في النحو الوظيفي، يصلح إسنادها للمتعلم، بل يجب إقصاء بعضها وخاصة: المفعول ـ المستقبل ـ المتقبل ـ، فالمتعلم ينبغي أن يكون فاعلا لا مفعول به كما حصل في نموذج بيداغوجيا الأهداف، إذ تم تشيء المتعلم والتعامل معه كآلة، فأجهضت لديه وفيه روح الابتكار والإبداع.

فالسلوك التربوي أو التعلمي يقع على المتعلم وقوع الفعل على المفعول به، بدون مراعاة لخصوصياته والظروف المحيطة به. إن مدخل التدريس بالكفايات يرفض أن يكون المتعلم مجرد مستجيب أو متقبل أو مستقبل غارق في وحل تربية التكرار. والاجترار والعادة والإعادة.

وجملة القول، إن نجاعة بعض الوظائف التداولية في النحو الوظيفي من قبيل المحور والبؤرة والفاعل والمنفذ تتأكد كمواصفات ضرورية في المتعلم الجديد، وفي أدواره البيداغوجية، وهذا ما يطمح إليه مشروع التدريس بواسطة الكفايات.

وبانتقالنا إلى القراءة المنهجية ومبادئها وآليات اشتغالها، سيتضح أكثر حضور البعد التداولي في بيداغوجيا الكفايات. فإذا كانت القراءة المنهجية تعتمد مجموعة من الخطوات والمراحل منها: ألاحظ ـ أقرأ ـ أفهم ـ أحلل ـ أركب ـ أستثمر ـ أبحث... فإن هذه المراحل يمكن إدراجها ضمن نظرية الأفعال اللغوية كما حددها « أوستين أوسورا»، فهي أعمال لغوية تحتاج إلى إنجاز وتحقيق في جميع مكونات المادة. ويمكن الاستدلال على ذلك بمنهجية تدريس التطبيقات من خلال التدرج التالي: أمهد ـ أفهم ـ أشكل ـ أطبق. إن القراءة النهجية قراءة قصدية وتداولية تعتمد على نوايا ومقاصد تواصلية، وتتموضع في الزمان والمكان والمقام، وهنا تتجلى بوضوح الإستراتيجية التداولية التي تعتمد عليها القراءة المنهجية، فالواقعية البرجماتية تفرض استعمال اللغة داخل المدرسة وخارجها، من خلال وضع برمجة لغوية منتظمة وتصنيف الخطاب البيداغوجي إلى أفعال دلالية وتداولية أي إلى عمليات تلفظية تنبني أساسا على وجهة نظر ونوايا المدرس إزاء المتعلم. وعلاوة على ذلك ضرورة مراعاة الخصوصيات النفعية في وضع الأفعال اللغوية البيداغوجية، والتدرج المنطقي من الخاص إلى العام، ومن البسيط على المركب، كما أن البيداغوجيا الفارقية التي تعد أحد مبادئ بيداغوجيا الكفايات، تعتمد على كثير من آليات وعناصر التداوليات منها:

ـ الفروق الفردية بين المتعلمين.

ـ مقام ووضعية التعلم والمتعلم.

إن حضور البعد التداولي يتقوى أكثر في نهاية كل قراءة منهجية، إذ يعبر المتعلم عن مواقفه وآرائه الشخصية، فمرحلة الاستثمار، أي ما بعد القراءة، يمكن تسميتها بأسماء كثيرة أبرزها: مرحلة التداول بامتياز، لأن المعلم يحتاج إلى الربط بين الكفايات المكتسبة في الفصل والمشاكل الحقيقية الملموسة في الواقع، وتحويل المعارف، بإعادة استعمالها وتداولها في سياقات خارجية... فالتداول هو الذي يجعل المتعلم فاعلا لتعلماته وقادرا على التكيف والتأقلم مع وضعيات ومواقف جديدة ومغايرة لما تعود عليه. وقد يحتاج إلى تغيير التصرف أو السلوك أو الموقف حسب المقامات والوضعيات.

وإذا كانت التداوليات جزءا من اللسانيات التي تعتمد على عناصر ذات طبيعة اجتماعية ونفسية، فإن هناك أمثلة لبعض الكفايات التداولية النوعية والخاصة بمستوى التعلم الثانوي الإعدادي منها:

ـ القدرة على تسجيل وتركيب خلاصة حديث أثناء الاستماع إليه.

ـ القدرة على قراءة ما بين السطور (التضمين ـ الاقتضاء...).

ـ القدرة على إلقاء حديث على زملاء الفصل في موضوع معروف (كفاية تواصلية).

ـ القدرة على استنباط الحكمة من إحدى قصص كليلة ودمنة...

وختاما، فإن كل كفاية تحتاج إلى تداول واستعمال، أو إلى تحويل لغوي وميتامعرفي ولغوي، فلا كفاية بدون تطبيق وتعبئة ونقل وتكييف ولا تصبح كل كفاية كفاية إلا بالتداول والاستعمال.

هوامش:

1 ـ سبق نشر هذا المقال في الملحق التربوي لجريدة الصباح في 29 ـ 11 ـ 2006.

حاجة الكفايات إلى التداول والاستعمال[1]

• عبد الرحيم وهيبي *

إذا انطلقنا من التعريف التالي: الكفاية وظيفة وليست سلوكا، فإن البعد التداولي أو الغائي يسم الكفاية وسما قويا ومؤثرا، إذ تصبح عبارة عن أنشطة وقدرات ومهام ذات مغزى ومعنى ووظيفة، وتغدو الوظيفة العملية التطبيقية هي الحاسمة في موضوع الكفاية، فلا توجد كفاية دون وظيفة أو هدف، بل إنها تنظيم يوظف النية والقصد، نية صاحبها الذي يمتلكها. نخلص إذن إلى نتيجة منطقية وهي: لا كفاية بدون تداول فكيف ذلك؟

إذا كانت التداوليات نظرية استعمالية تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، ونظرية تخاطبية تعالج شروط التبليغ والتواصل، وتحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات، وهي الكفاية النفسية، والكفاية التداولية، والكفاية النمطية، فإن قدرة المتعلم يجب أن تكون قدرة تواصلية وحوارية، بمعنى أنها معرفة وتشغيل القواعد التداولية والتركيبية والدلالية والصوتية التي تمكن من إنجاز مهمة في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق أهداف وغايات تواصلية محددة.

وإذا كان النحو الوظيفي يسعى إلى تحقيق ما يسمى الكفاية التداولية من خلال اقتراحه بنية للنحو تفرد مستوى تمثيليا مستقلا للوظائف التركيبية والدلالية مثل: المنفذ ـ المتقبل ـ الفاعل ـ المفعول ـ المستفيد... فإن هذه الوظائف يمكن نقل وتوظيف بعضها في الحقل البيداغوجي وخاصة في مجال التدريس بالكفايات، فإذا كانت العملية التعليمية التعلمية تستوجب عناصر أساسية وهي: المدرس والمتعلم والمعرفة، فإن الوظائف التداولية التي هي من قبيل المحور والبؤرة والمنفذ والفاعل يمكن إسنادها، في إطار بيداغوجيا الكفايات، إلى المتعلم باعتباره مركز وبؤرة ومحور الاهتمام والتفكير والعمل. وهي أيضا إحدى الغايات الكبرى للميثاق الوطني للتربية والتكوين والكتاب الأبيض. إن اعتبار المتعلم محورا وبؤرة ومنفذا وفاعلا من شأنه أن ينمي

* باحث في علوم التربية

ويقوي شخصيته كغاية في ذاته، وكفاعل إيجابي في تطور مجتمعه فيتحول إلى رأسمال مربح. إن إسناد هذه الوظائف إلى المتعلم من شأنها أن تربي فيه الاجتهاد والابتكار والمسئولية بدلا من شحن وشحذ ذهنه بمعارف غير مجدية. ويمكن إضافة غايات كبرى تحققها هذه الوظائف منها:

ـ اعتماد التعلم الذاتي وقدرة المتعلم على الحوار والتواصل والمشاركة.

ـ الاستثمار في الرأسمال البشري من خلال بيداغوجيا الكفايات.

ـ حشد واستنفار مجموعة من المواد المعرفية من قدرات ومهارات لدى المتعلم، من أجل مواجهة مجموعة من الوضعيات بشكل ملائم وناجح.

بيد أنه، ليست كل الوظائف التداولية في النحو الوظيفي، يصلح إسنادها للمتعلم، بل يجب إقصاء بعضها وخاصة: المفعول ـ المستقبل ـ المتقبل ـ، فالمتعلم ينبغي أن يكون فاعلا لا مفعول به كما حصل في نموذج بيداغوجيا الأهداف، إذ تم تشيء المتعلم والتعامل معه كآلة، فأجهضت لديه وفيه روح الابتكار والإبداع.

فالسلوك التربوي أو التعلمي يقع على المتعلم وقوع الفعل على المفعول به، بدون مراعاة لخصوصياته والظروف المحيطة به. إن مدخل التدريس بالكفايات يرفض أن يكون المتعلم مجرد مستجيب أو متقبل أو مستقبل غارق في وحل تربية التكرار. والاجترار والعادة والإعادة.

وجملة القول، إن نجاعة بعض الوظائف التداولية في النحو الوظيفي من قبيل المحور والبؤرة والفاعل والمنفذ تتأكد كمواصفات ضرورية في المتعلم الجديد، وفي أدواره البيداغوجية، وهذا ما يطمح إليه مشروع التدريس بواسطة الكفايات.

وبانتقالنا إلى القراءة المنهجية ومبادئها وآليات اشتغالها، سيتضح أكثر حضور البعد التداولي في بيداغوجيا الكفايات. فإذا كانت القراءة المنهجية تعتمد مجموعة من الخطوات والمراحل منها: ألاحظ ـ أقرأ ـ أفهم ـ أحلل ـ أركب ـ أستثمر ـ أبحث... فإن هذه المراحل يمكن إدراجها ضمن نظرية الأفعال اللغوية كما حددها « أوستين أوسورا»، فهي أعمال لغوية تحتاج إلى إنجاز وتحقيق في جميع مكونات المادة. ويمكن الاستدلال على ذلك بمنهجية تدريس التطبيقات من خلال التدرج التالي: أمهد ـ أفهم ـ أشكل ـ أطبق. إن القراءة النهجية قراءة قصدية وتداولية تعتمد على نوايا ومقاصد تواصلية، وتتموضع في الزمان والمكان والمقام، وهنا تتجلى بوضوح الإستراتيجية التداولية التي تعتمد عليها القراءة المنهجية، فالواقعية البرجماتية تفرض استعمال اللغة داخل المدرسة وخارجها، من خلال وضع برمجة لغوية منتظمة وتصنيف الخطاب البيداغوجي إلى أفعال دلالية وتداولية أي إلى عمليات تلفظية تنبني أساسا على وجهة نظر ونوايا المدرس إزاء المتعلم. وعلاوة على ذلك ضرورة مراعاة الخصوصيات النفعية في وضع الأفعال اللغوية البيداغوجية، والتدرج المنطقي من الخاص إلى العام، ومن البسيط على المركب، كما أن البيداغوجيا الفارقية التي تعد أحد مبادئ بيداغوجيا الكفايات، تعتمد على كثير من آليات وعناصر التداوليات منها:

ـ الفروق الفردية بين المتعلمين.

ـ مقام ووضعية التعلم والمتعلم.

إن حضور البعد التداولي يتقوى أكثر في نهاية كل قراءة منهجية، إذ يعبر المتعلم عن مواقفه وآرائه الشخصية، فمرحلة الاستثمار، أي ما بعد القراءة، يمكن تسميتها بأسماء كثيرة أبرزها: مرحلة التداول بامتياز، لأن المعلم يحتاج إلى الربط بين الكفايات المكتسبة في الفصل والمشاكل الحقيقية الملموسة في الواقع، وتحويل المعارف، بإعادة استعمالها وتداولها في سياقات خارجية... فالتداول هو الذي يجعل المتعلم فاعلا لتعلماته وقادرا على التكيف والتأقلم مع وضعيات ومواقف جديدة ومغايرة لما تعود عليه. وقد يحتاج إلى تغيير التصرف أو السلوك أو الموقف حسب المقامات والوضعيات.

وإذا كانت التداوليات جزءا من اللسانيات التي تعتمد على عناصر ذات طبيعة اجتماعية ونفسية، فإن هناك أمثلة لبعض الكفايات التداولية النوعية والخاصة بمستوى التعلم الثانوي الإعدادي منها:

ـ القدرة على تسجيل وتركيب خلاصة حديث أثناء الاستماع إليه.

ـ القدرة على قراءة ما بين السطور (التضمين ـ الاقتضاء...).

ـ القدرة على إلقاء حديث على زملاء الفصل في موضوع معروف (كفاية تواصلية).

ـ القدرة على استنباط الحكمة من إحدى قصص كليلة ودمنة...

وختاما، فإن كل كفاية تحتاج إلى تداول واستعمال، أو إلى تحويل لغوي وميتامعرفي ولغوي، فلا كفاية بدون تطبيق وتعبئة ونقل وتكييف ولا تصبح كل كفاية كفاية إلا بالتداول والاستعمال.

هوامش:

1 ـ سبق نشر هذا المقال في الملحق التربوي لجريدة الصباح في 29 ـ 11 ـ 2006.